

تقدير حول أعمال مؤتمر «القدس: تاريخ المستقبل»*

سميح شبيب**

عقدت مؤسسة الدراسات الفلسطينية، وبالتعاون مع «الائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس»، ومركز الأبحاث الفلسطيني - الأميركي («بارك»)، و«اتحاد الجمعيات العربية» («اتجاه»)، وبالشراكة مع جامعة بيرزيت، مؤتمراً بعنوان «القدس: تاريخ المستقبل». وافتتح المؤتمر صباح الخميس الموافق فيه ٢٠٠٩/٧/٣٠ في قاعة الفندق الوطني في القدس، بمشاركة كل من إبراهيم الدقاق، وعبد الرحمن أبو عرفة عن الائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس، والمطران عطا الله حنا، والشيخ عكرمة صبري، وشخصيات مقدسية أخرى. وأتى افتتاح المؤتمر بالقدس كعاصمة للثقافة العربية لتأكيد هوية القدس الثقافية الإسلامية - المسيحية من جهة، وفي سياق مقاومة سياسات تهويدها وإلغاء هويتها، من جهة ثانية. واستأنف المؤتمر جلساته في جامعة بيرزيت صباح ٢٠٠٩/٨/١ بحضور رئيس الحكومة الفلسطينية سلام فياض، ورئيس المجلس الإداري لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية رفيق الحسيني، وممثلي المؤسسات المشاركة، وعدد من الشخصيات الفلسطينية، ونخبة من الخبراء والباحثين الفلسطينيين والدوليين.

التأم شمل المؤتمر يومي ١ و٢/٨/٢٠٠٩ في قاعة كمال ناصر - جامعة بيرزيت، وافتتح الجلسات نبيل قسيس، رئيس جامعة بيرزيت، بكلمة ترحيبية عبّر فيها عن شكر الجامعة على الدعم الذي تقدمه الحكومة لها ولطلبتها وللتعليم العالي، قائلاً: «إن هذا يوم خاص لأنه يتيح للجامعة تعزيز مشاركتها في احتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩، حيث كانت الجامعة قد قررت اعتبار جميع النشاطات الثقافية جزءاً من برنامج الاحتفالية»، واصفاً اليوم بأنه خاص لوجود مجموعة كبيرة من الباحثين البارزين المشاركين في المؤتمر، داعياً إياهم إلى تعميق صلاتهم الأكاديمية والبحثية زملائهم في الجامعة، ومشيراً إلى اهتمام الجامعة بالدراسات والأبحاث عن القدس، مضيفاً إلى أن هذه الأخيرة بتعددتها، وعلى الرغم من محاولات تهويدها، منبغ لا ينضب للدراسات المتخصصة في شتى المجالات.

وتحدث كميل منصور ممثلاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية قائلاً إن عقد هذا المؤتمر في غاية الأهمية كون فعالياته ابتدأت بمؤتمر صحافي في مدينة القدس، ثم في جامعة بيرزيت،

* عُقد المؤتمر على مدار أربعة أيام (٣٠/٧ - ٤/٨/٢٠٠٩) في كل من القدس وجامعة بيرزيت ومدينة الناصرة. وقد نشر التقرير في مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٧٩)، صيف ٢٠٠٩.

** سميح شبيب: محاضر في جامعة بيرزيت، دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية.

وستنتهي في مدينة الناصرة، الأمر الذي يدل على المكانة الكبيرة لمدينة القدس في أذهان الفلسطينيين وعقولهم وعواطفهم باعتبارها ليست موقعاً جغرافياً فحسب، بل مكاناً حافلاً بالأماكن الدينية والروحية والأثرية ومركزاً للتاريخ والحضارة أيضاً، وهي لا تحتاج إلى شعارات، وإنما إلى دراسات متعمقة للواقع. وقال إن فكرة المؤتمر التي انطلقت من القدس عاصمة الثقافة العربية مناسبة للتوعية والتعبئة، إذ إنها حرصت على المزج بين الالتزام الوطني والبحث العلمي (راجع نص الكلمة في نهاية التقرير).

أمّا سلام فياض، رئيس الحكومة، فألقى كلمة أكد فيها التزام منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية بحقوق الشعب الفلسطيني، وحق العودة، وحق تقرير المصير، وحقوق اللاجئين في إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية، مشيراً إلى أن الحكومة شارفت على إنجاز وثيقة فلسطينية* تتضمن خطة تعتمد فلسفة الحكم الرشيد في مؤسسات الدولة، داعياً الشعب الفلسطيني إلى شجاعة البقاء وإرادة البناء للتغلب على عناصر الإحباط التي سببها الاحتلال. وتابع قائلاً إن إسرائيل لم تحترم تعهداتها بعدم القيام بأي عمل يؤثر في قضايا الوضع الدائم، وفي مقدمتها قضية القدس، وإنما استمرت على مدار الأعوام في سياستها الاستيطانية، وفي محاولات فرض الأمر الواقع، وخصوصاً في مدينة القدس ومحيطها. كما أنها أمعنت منذ سنة ٢٠٠١، في تصعيد وتيرة الاستيطان، وواصلت بناء الجدار الفاصل، في تحدٍّ سافر لإرادة المجتمع الدولي، ولفتوى لاهاي القانونية، ولكل الجهود المبذولة لإنقاذ عملية السلام، وما زالت ترفض وقف الاستيطان، وتحاول نزع القدس من محيطها الفلسطيني وإخراجها من المفاوضات، وتعمل على تكريس الجدار الفاصل حدوداً سياسية، وذلك في تناقض واضح مع الالتزامات التي حددتها خطة خريطة الطريق.

وأعرب رئيس الحكومة عن أمله بـ «أن يشكل هذا المؤتمر المتخصص حول القدس وما سيصدر عنه من توجهات وتوصيات موجّهة للمستويات القيادية الفلسطينية لتحمل المزيد من المسؤولية لتوضيح الرواية الفلسطينية بشأن القدس ومكانتها وشواهداها العربية، الإسلامية والمسيحية، المنتشرة في أزقتها وشوارعها العتيقة وأبنيتها وكنائسها ومساجدها ومؤسساتها، وفي تاريخها المدون والمحكي». وقال: «إن المسؤولية الملقاة على عاتق المفكرين والمؤرخين والباحثين وكافة الجهات الرسمية والأهلية تحثنا على بلورة رؤية واضحة واستراتيجية عمل موحدة، ونشر رؤيتنا وروايتنا في المحافل الدولية.»

أمّا رفيق الحسيني، رئيس ديوان الرئاسة، ورئيس المجلس الإداري لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية سنة ٢٠٠٩، فقال: «إن حرب العصابات الثقافية ما زالت متواصلة في مدينة القدس منذ بداية العام، وهي مقاومة تعبّر عن إصرارنا كشعب فلسطيني عربي، بمسلمينا ومسيحيينا، على التمسك بهذه الثقافة المجبولة بعقب الحضارة.»

ودعا الحسيني في كلمته خلال الجلسة الافتتاحية، الأمة العربية، إلى توفير الدعم المادي والمعنوي للقدس وسكانها.

وتم خلال الجلسة الافتتاحية تكريم كل من: إبراهيم الدقاق، وهو من مواليد ١٩٢٩، عمل مهندساً رئيسياً في ترميم المسجد الأقصى، وأول رئيس للملتقى العربي في القدس، ومن مؤسسي المقاصد الخيرية؛ أمين الخطيب من مواليد ١٩٢٦، وهو من مؤسسي حركة القوميين العرب، ورئيس اتحاد الجمعيات الخيرية في القدس، ومن مؤسسي جامعة القدس؛ سامية خوري، وهي أول

رئيس لجمعية الشابات المسيحيات في القدس، وأول امرأة انتخبت في الكنيسة الأسقفية الغربية، وقد قالت عقب تكريمها: « كيف لنا أن نكرّم إذا لم نكرّم الوطن»، وأضافت: « إن الحزن يعتصر قلبي في ظل استمرار الصراع الداخلي الذي يشهده الوطن. »

وأوضح المحامي علي أبو هلال عن الائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين، أن من أولويات الائتلاف الأهلي الكشف عن ممارسات التهويد ومصادرة الحقوق والحريات، وأن المؤتمر يُعقد في إطار كشف المخططات الإسرائيلية ضد المقدسيين، والتي تتناقض مع القانون الدولي لحقوق الإنسان.

وأشاد الأستاذ أمير مخول في كلمته عن « اتحاد الجمعيات الأهلية العربية /اتجاه» بموقف المقاومة الشعبية داخل المدينة المقدسة، وبدور الحركات الإسلامية في المناطق المحتلة منذ سنة ٤٨ في دعم القدس، كما شكر حركة التضامن الدولي ودورها المؤيد لحقوق الفلسطينيين.

اشتمل اليوم الأول على جلستين، ترأس الأولى منها ناصر القدوة، وجاءت بعنوان: « القدس في السياسات الدولية والعربية». وقد استهل رشيد الخالدي الجلسة الأولى، بمدخلة عنوانها: « سياسة الإدارة الأميركية تجاه مدينة القدس والقضية الفلسطينية»، تطرق فيها إلى السياسة الأميركية تجاه هذه المدينة، فأوضح أن مواقف الإدارة الحالية تختلف كلياً عن مواقف الإدارة الأميركية السابقة، إذ إنها تطالب إسرائيل بتجميد الاستيطان في القدس (والضفة الغربية)، وبوقف هدم المنازل، وتسعى جدياً لتحقيق تسوية نهائية بين الفلسطينيين وإسرائيل. وتساءل: هل سيستمر هذا التوجه؟ وهل سيؤثر هذا الموقف الأميركي المستجد في الزحف الإسرائيلي المستمر نحو السيطرة على القدس الشرقية وطمس هويتها العربية؟

ولتحقيق الاستمرارية في الموقف الأميركي المطالب بتجميد الاستيطان، دعا الخالدي إلى ممارسة ضغط عربي وفلسطيني في الولايات المتحدة الأميركية والعواصم العربية، وقال إنه ليس واضحاً، وليس مؤكداً، أن الإدارة الأميركية مصممة على سياستها هذه، وإنه إذا ما بقي الموقف الفلسطيني مشتتاً، فليس هناك ضمانات في أن الإدارة الأميركية ستصمم على سياستها الجديدة.

وشدد الخالدي على أن «الأوان آن لموقف فلسطيني جماعي وطني حول القدس»، وللقيام بحملة إعلامية ودبلوماسية ليس في القدس أو الناصرة فحسب، بل في العاصمة الأميركية، والولايات المتحدة الأميركية، والعواصم الأوروبية الأخرى أيضاً.

وقدم الباحث يواخيم باول، مدخلة بشأن الموقف الأوروبي من مدينة القدس، مشيراً إلى ما وصفه بأنه « فجوة واسعة بين ما يقوله القادة والمسؤولون الأوروبيون في تصريحاتهم وما يجري على الأرض»، إلا إنه أشار أيضاً إلى أن «تغيراً طرأ مؤخراً على مواقف القادة الأوروبيين، لا يقل أهمية عن تغير الموقف الأميركي تجاه وقف الاستيطان في مدينة القدس تحديداً.»

وقدم مهدي عبد الهادي مدخلة بشأن الموقف العربي تجاه المدينة، فقال إن «المواقف العربية كانت دائماً وعبر التاريخ مقترنة تماماً بالموقف الذي تتخذه القيادات الفلسطينية.» وخلص إلى القول إن غياب الاستراتيجية الفلسطينية وتشتتها، وغياب موقف دولي مستند إلى الأصول القانونية، سيؤديان إلى أسرلة القدس، وإلى استمرار المستوطنين في اقتحام المدينة.

وقدم مدير مكتب قناة «الجزيرة» الفضائية، وليد العمري، مدخلة أشار فيها إلى غياب استراتيجية فلسطينية واضحة، وإلى أن التوجه الآن هو الاكتفاء بخطاب سياسي قائم على ردة الفعل

فقط، وأضاف أن الإعلام العربي محاصر في أزقة القدس وأسوارها، في ظل صوت عربي خافت . وتابع قائلاً إن قضية القدس اليوم، أصبحت مغيبة عن الخطاب الفلسطيني، ولم تعد الحال فيها مثلما كانت في أيام الرئيس عرفات، كما أشار إلى أهمية «أنسنة الأخبار عن مدينة القدس في وسائل الإعلام العربية»، قائلاً إن «غياب الأخبار الإنسانية، وشخصنة الأخبار عن المدينة بربطها بأشخاص سياسيين، يجسدان العجز العربي والإسلامي في التعامل الإعلامي مع قضية القدس .» وترأست سحر فرنسيس الجلسة الثانية، وكانت بعنوان: «ما بين القانون والديموغرافيا»، وقد اشتملت على ثلاث مداخلات قدمها كل من: فراس ملحوم، وأسامة حلبي، وأحمد الرويضي، وتناولت وضع المدينة من الناحية القانونية، سواء في القانون الدولي أو في القانون الإسرائيلي . وفي الجلسات التالية، تحدث باحثون مختصون كثيرون، فأحاطوا بقضية القدس من مختلف جوانبها السياسية والقانونية والديموغرافية والثقافية، وتلا كل جلسة نقاش مفتوح أغنى الأوراق المقدمة، وعمق ما ورد فيها من أفكار . بالإضافة إلى ذلك، تضمنت أغلبية المداخلات والمحاور، توصيات محددة بشأن واقع القدس ومستقبلها، ولعل القاسم المشترك بينها، هو تأكيد أن الأخطار التي تهدد القدس، باتت على درجة عالية من الخطورة، الأمر الذي يندرج ضياع عروبة القدس، وبإلغاء طابعها الحضاري، وأن ما يبذل من جهود لدفع هذه المخاطر، لا يرقى إلى مستوى الأخطار الماثلة . ودعت التوصيات إلى ضرورة تأطير الجهود وتوحيدها، في المناحي كلها، وذلك من أجل الحفاظ على هوية القدس الحضارية والثقافية العربية .

لقد شكل المؤتمر، بما تضمنه من محاور ونقاشات وحضور علمي وأكاديمي، فعالية بارزة من فعاليات «القدس عاصمة الثقافة العربية»، كما أن رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر، خالد فراج، أكد أن هدف المؤتمر هو تسليط الضوء على قضايا القدس كلها من حيث الممتلكات والسكان الأصليين والاستيطان والحفريات .

* * *

كلمة كميل منصور ممثلاً مؤسسة الدراسات الفلسطينية
دولة رئيس مجلس الوزراء، الدكتور سلام فياض،
رئيس جامعة بيرزيت، الدكتور نبيل قسيس،
رئيس المجلس الإداري لاحتفالية القدس - عاصمة الثقافة العربية، رئيس ديوان الرئاسة، الدكتور
رفيق الحسيني،
أيها الحفل الكريم،

يشرفني أن أقف اليوم أمامكم، باسم مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لكي أرحب بكم بمناسبة انعقاد مؤتمر «القدس، تاريخ المستقبل»، تحت رعاية فخامة الرئيس محمود عباس الذي نوجه إليه أفضل عبارات الشكر والتقدير. ويسعدني أن أرى هذا الحشد الكبير، الكبير بنوعه وكمه، لأن هذا الحشد، إن شهد على شيء، وفي هذه القاعة بالذات، قاعة كمال ناصر، فهو شاهد على معانٍ ثلاثة .

أولاً، إن حضوركم المكثف اليوم يأتي بعد الافتتاح المفعم بالرموز والهموم والتصميم في

الفندق الوطني في القدس قبل يومين والذي ساهم فيه مشكورين «الائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس» و«اتحاد الجمعيات الأهلية العربية - اتجاه». إن مشاركتكم بالأمس في القدس واليوم في بير زيت وبعد ثلاثة أيام في الناصرة تومئ بقوة إلى المكانة المركزية التي تحتلها القدس، بماضيها وحاضرها ومستقبلها، في أذهاننا وعقولنا وعواطفنا. إن القدس ليست موقعاً جغرافياً فحسب: نعم، إنها تحتضن الأماكن المقدسة إلى جانب الآثار والمباني والأزقة الرائعة، إنما القدس هي أيضاً، بالنسبة إلينا كعرب وفلسطينيين، ذاكرة ووجدان وتطلع. وعلى الرغم من بؤس حاضرتنا، ومن أجل تخطي هذا البؤس، تختزل القدس قضيتنا الفلسطينية - العربية وبرنامجننا التحرري. غير أنه من الضروري القول إن القدس، بقدر ما هي برنامج عمل، لا يمكن أن تقتصر على شعارات رنانة ونداءات عاطفية، بل يجب أن تركز على دراسات علمية وعلى معرفة عميقة وموضوعية بالواقع مهما كان أليماً. من هنا كانت فكرة هذا المؤتمر التي مزجت بين الالتزام الوطني والبحث العلمي وسعت إلى أن تكون «احتفالية القدس، عاصمة الثقافة العربية»، مناسبة للتفكير والتخطيط، إلى جانب كونها مناسبة للتوعية والتعبئة. اسمحو لي أن أشكر هنا القائمين على الاحتفالية، وخصوصاً الدكتور رفيق الحسيني والدكتورة فارسين أعابيكيان، لتبنيهم هذا المؤتمر كنشاط مرموق ضمن فعاليات الاحتفالية.

إن ضرورة المزج بين النضال والفكر تقودني بطبيعة الحال إلى الدلالة الثانية التي يرمز إليها حضوركم لهذا المؤتمر، ألا وهي عقده في صرح أكاديمي وفي قاعة تحمل اسم شهيد كان في الوقت نفسه شاعراً ومثقفاً ومناضلاً. إن جامعة بير زيت، من خلال أشخاصها ومضمون برامجها التعليمية والبحثية، تجمع بلا ريب الأبعاد الوطنية والعلمية والثقافية ضمن عملية تربوية شاملة. أود هنا وباسمكم جميعاً أن أوجه شكري العميق للجامعة، ممثلة برئيسها، لاستضافتها هذا المؤتمر كمؤسسة معنية بالقدس موضوعاً وقضية، وكشريك ذي مغزى لمؤسسة الدراسات الفلسطينية. وإذ أشير إلى البعد الثقافي لجامعة بير زيت، أود دعوتكم لزيارة متحف المقتنيات التراثية والفنية في الجامعة، في مبنى قريب من هنا، لمشاهدة معرض إثنوغرافي وفني حول مدينة القدس، أعده المتحف بمناسبة انعقاد المؤتمر.

أيها الحفل الكريم،

إسمحو لي أن أتطرق إلى الدلالة الثالثة لتجاوبكم الحميد مع دعوة مؤسسة الدراسات الفلسطينية وشركائها لحضور هذا المؤتمر، وهي ثقتمكم بالمؤسسة واقتناعكم برسالتها. لقد أنشئت مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت عام ١٩٦٣ كهيئة مستقلة ذات عمق عربي ووجه فلسطيني - لبناني، من أجل التوثيق والبحث العلمي في مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي - الإسرائيلي. ويضم مجلس أمنائها أعضاء من مختلف الدول العربية، إيماناً من مؤسسيتها ليس فقط بالبعد الوطني للقضية الفلسطينية، بل أيضاً بطابعها القومي وبمكانة فلسطين المركزية في المصير العربي. وقد أصدرت المؤسسة، منذ تأسيسها، المئات من الكتب والنشرات، من بينها «مجلة الدراسات الفلسطينية»، و *Journal for Palestine Studies* و *Revue d'études palestiniennes*. وقد حرصت المؤسسة في سياستها النشرية وفي عشرات الندوات والمؤتمرات التي نظمتها على بُعد الالتزام الوطني والموضوعية العلمية اللتين أشرت إليهما قبل لحظات، كما راعت التوازن بين الدراسات التاريخية

ومتابعة الشؤون الراهنة والاهتمام بالدراسات السياسية المستقبلية . وأقامت المؤسسة في بيروت مركزاً للمعلومات والتوثيق يضم أهم مكتبة متخصصة في القضية الفلسطينية في العالم العربي لا بل في العالم، وافتتحت لها مكاتب في واشنطن وباريس . أمّا بالنسبة إلى فلسطين، وبسبب اهتمامها بالقدس، فقد أنشأت فرعاً لها في هذه المدينة عام ١٩٩٥ تحت اسم مؤسسة الدراسات المقدسية . وتصدر هذه الأخيرة حالياً دوريتين بالإنكليزية والعربية متخصصتين بالقدس هما: Jerusalem Quarterly و« حوليات القدس » . وبسبب الأوضاع التي نعرفها جميعاً، تعمل مؤسسة الدراسات المقدسية في رام الله منذ عام ٢٠٠٣، ضمن مكتب فلسطين لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، وتأمل أن تعود إلى القدس فور ما تسنح الظروف . لن أطيل الكلام عن المؤسسة ومنشوراتها، إذ يمكنكم الاطلاع على بعض منها في الردهة الملاصقة لهذه القاعة .

أيها الحفل الكريم،

أخيراً وإذ شرفنا دولة الرئيس سلام فياض بحضوره، يسعدني أن أعبر أمامكم عن امتناني العميق لتقديم دولته الدعم والمساندة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية ولنشاطاتها العلمية والثقافية . ثمة هيئات وشخصيات أخرى كان بودي أن أشكرها لمساهمتها في إنجاح هذا المؤتمر أو دعمها نشاطات المؤسسة . لم يكن باستطاعتي ذكرها جميعاً هنا، إلا أنني عاجز عن إغفال الدور الكبير الذي لعبه فريق المؤسسة في رام الله تحت قيادة صديقي خالد فراج .
شكراً لحسن استماعكم وتمنياتي لنا جميعاً بمؤتمر ناجح وبناء .

أعلنت هذه الوثيقة في مؤتمر صحافي بتاريخ ٢٥ / ٨ / ٢٠٠٩ .